

تفسير ابن كثير

فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ

وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة ، فلنذكرها :الحديث الأول :قال الإمام أحمد ، رحمه الله : حدثنا عبد الله بن نمير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أنزل الله ، عز وجل : (وأنذر عشيرتك الأقربين) ، أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - الصفا فصعد عليه ، ثم نادى : " يا صباحاه " . فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه ، وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني لؤي ، رأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل ، تريد أن تغير عليكم ، صدقتموني ؟ " . قالوا : نعم . قال : " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " . فقال أبو لهب : تبأ لك سائر اليوم ، أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله : (تبأ يدا أبي لهب وتب) [المسد : 1] .ورواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي ، من طرق ، عن الأعمش ، به .الحديث الثاني :قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : لما نزلت : (وأنذر

عشيرتك الأقربين) ، قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " يا فاطمة ابنة محمد ، يا صفية ابنة عبد المطلب ، يا بني عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالي ما شئتم " . انفراد بإخراجه مسلم . الحديث الثالث : قال أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثنا عبد الملك بن عمير ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : لما نزلت هذه الآية : (وأندر عشيرتك الأقربين) ، دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [قريشا] ، فعم وخص ، فقال : " يا معشر قريش ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا معشر بني كعب ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا معشر بني عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا معشر بني هاشم ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا معشر بني عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار . [يا فاطمة بنت محمد ، أنقذي نفسك من النار] ، فإني - والله - ما أملك لكم من الله شيئاً ، إلا أن لكم رحماً سألها ببلالها " . ورواه مسلم والترمذي ، من حديث عبد الملك بن عمير ، به . وقال الترمذي : غريب من هذا الوجه . ورواه النسائي من حديث موسى بن طلحة مرسل لم يذكر فيه أبا هريرة . والموصول هو الصحيح . وأخرجه في الصحيحين من حديث الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، وأبي

سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة .وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا محمد -
يعني ابن إسحاق - عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال :
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا بني عبد المطلب ، اشتروا أنفسكم من الله
. يا صفية عمة رسول الله ، ويا فاطمة بنت رسول الله ، اشتريا أنفسكما من الله ، لا
أغني عنكما من الله شيئا ، سلاني من مالي ما شئتما " .تفرد به من هذا الوجه . وتفرد به
أيضا ، عن معاوية ، عن زائدة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي
- صلى الله عليه وسلم - بنحوه . ورواه أيضا عن حسن ، ثنا ابن لهيعة ، عن الأعرج :
سمعت أبا هريرة مرفوعا .وقال أبو يعلى : حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا ضمام بن إسماعيل
، عن موسى بن وردان ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : " يا بني
قصي ، يا بني هاشم ، يا بني عبد مناف . أنا النذير . والموت المغير . والساعة الموعد "
الحديث الرابع :قال أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا التيمي ، عن أبي عثمان ، عن
قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قالا لما نزلت : (وأنذر عشيرتك الأقربين) صعد رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - روضة من جبل على أعلاها حجر ، فجعل ينادي : " يا بني

عبد مناف ، إنما أنا نذير ، إنما مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو ، فذهب يربأ أهله ،
يخشى أن يسبقوه ، فجعل ينادي ويهتف : يا صباحاه " .ورواه مسلم والنسائي ، من حديث
سليمان بن طرخان التيمي ، عن أبي عثمان عبد الرحمن بن مل النهدي ، عن قبيصة
وزهير بن عمرو الهلالي ، به .الحديث الخامس :قال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ،
حدثنا شريك عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عباد بن عبد الله الأسدي ، عن علي ،
رضي الله عنه ، قال : لما نزلت هذه الآية : (وأندر عشيرتك الأقربين) جمع النبي -
صلى الله عليه وسلم - من أهل بيته ، فاجتمع ثلاثون ، فأكلوا وشربوا قال : وقال لهم : "
من يضمن عني ديني ومواعيدي ، ويكون معي في الجنة ، ويكون خليفتي في أهلي ؟ " .
فقال رجل - لم يسمه شريك - يا رسول الله ، أنت كنت بحرا من يقوم بهذا ؟ قال : ثم
قال الآخر ، قال : فعرض ذلك على أهل بيته ، فقال علي : أنا .طريق أخرى بأبسط من
هذا السياق : قال أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، عن عثمان بن المغيرة ، عن
أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجذ ، عن علي ، رضي الله عنه ، قال : جمع رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - أو دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بني عبد المطلب ، وهم

رھط ، کلھم یأکل الجذعة ویشرّب الفرق - قال : وصنع لھم مدا من طعام فأکلوا حتی شبعوا - قال : وبقي الطعام کما هو کأنه لم یمس . ثم دعا بغمر فشرّبوا حتی رووا ، وبقي الشراب کأنه لم یمس - أو لم یشرّب - وقال : " یا بني عبد المطلب ، إني بعثت إلیکم خاصة وإلی الناس عامة ، وقد رأیتم من هذه الآیة ما رأیتم ، فأیکم یبایعني علی أن یكون أخي وصاحبي ؟ " . قال : فلم یقم إلیه أحد . قال : فقامت إلیه - وکنت أصغر القوم - قال : فقال : " اجلس " . ثم قال ثلاث مرات ، کل ذلك أقوم إلیه فیقول لی : " اجلس " .

حتى کان فی الثالثة ضرب بیده علی یدی . طریق أخرى أغرب وأبسط من هذا السیاق بزیادات أخر : قال الحافظ أبو بکر البیهقي فی " دلائل النبوة " : أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن یعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا یونس بن بکر ، عن محمد بن إسحاق قال : فحدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل - واستکتمني اسمه - عن ابن عباس ، عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : لما نزلت هذه الآیة علی رسول الله - صلی الله علیه وسلم - : (وأنذر عشیرتک الأقربین واخفض جناحک لمن اتبعک من المؤمنین) ، قال رسول الله - صلی الله علیه وسلم - :

" عرفت أني إن بادأت بها قومي ، رأيت منهم ما أكره ، فصمت . فجاءني جبريل ، عليه السلام ، فقال : يا محمد ، إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك ربك " . قال علي ، رضي الله عنه : فدعاني فقال : " يا علي ، إن الله قد أمرني [أن] أنذر عشيرتي الأقرين ، فعرفت أني إن بادأتهم بذلك رأيت منهم ما أكره ، فصمت عن ذلك ، ثم جاءني جبريل فقال : يا محمد ، إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك . فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام ، وأعد لنا عس لبن ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب " . ففعلت فاجتمعوا له ، وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا . فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث . فقدمت إليهم تلك الجفنة ، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها حذية فشققها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها ، وقال : " كلوا بسم الله " . فأكل القوم حتى نهلوا عنه ما يرى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها . ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " اسقهم يا علي " . فجئت بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا ، وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله . فلما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يكلمهم ، بدره أبو لهب إلى الكلام فقال

: لهد ما سحر كم صاحبكم . فففرقوا ولم يكلمهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

فلما كان الغد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا علي ، عد لنا بمثل الذي

كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب ؛ فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل

أن أكلم القوم " . ففعلت ، ثم جمعتهم له ، فصنع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتى نهلوا عنه ، وإيم الله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها .

ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " اسقهم يا علي " . فجنث بذلك القعب

فشربوا منه حتى نهلوا جميعا . وإيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله . فلما أراد رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - أن يكلمهم بدره أبو لهب بالكلام فقال : لهد ما سحر كم

صاحبكم . فففرقوا ولم يكلمهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فلما كان الغد قال

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا علي ، عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالأمس

من الطعام والشراب ؛ فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم " .

ففعلت ، ثم جمعتهم له فصنع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - [كما صنع] بالأمس

، فأكلوا حتى نهلوا عنه ، ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهلوا عنه ، وإيم الله إن كان

الرجل منهم ليأكل مثلها ويشرب مثلها ، ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا بني عبد المطلب ، إني - والله - ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتم به ، إني قد جئتم بأمر الدنيا والآخرة " . قال أحمد بن عبد الجبار : بلغني أن ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم أبي مريم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث . وقد رواه أبو جعفر بن جرير ، عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، عن علي بن أبي طالب ، فذكر مثله ، وزاد بعد قوله : " إني جئكم بخير الدنيا والآخرة " . " وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي ، وكذا وكذا " ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعا ، وقلت - وإني لأحدثهم سنا ، وأرمصهم عينا ، وأعظمهم بطنا ، وأحמשهم ساقا . أنا يا نبي الله ، أكون وزيرك عليه ، فأخذ يرقبني ثم قال : " إن هذا أخي ، وكذا وكذا ، فاسمعوا له وأطيعوا " . قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أملك أن تسمع لابنك وتطيع . تفرد بهذا السياق عبد الغفار بن القاسم أبي مريم ، وهو متروك كذاب شيعي ، اتهمه علي بن المديني وغيره بوضع الحديث

، وضعفه الأئمة رحمهم الله .طريق أخرى : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي ، حدثنا عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث قال : قال علي رضي الله عنه : لما نزلت هذه الآية : (وأنذر عشيرتك الأقربين) ، قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وإناء لبنا " . قال : ففعلت ، ثم قال : " ادع بني هاشم " . قال : فدعوتهم وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل - أو : أربعون ورجل - قال : وفيهم عشرة كلهم يأكل الجذعة بإدامها . قال : فلما أتوا بالقصعة أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ذروتها ثم قال : " كلوا " ، فأكلوا حتى شبعوا ، وهي على هيئتها لم يرزءوا منها إلا يسيرا ، قال : ثم أتيتهم بالإناء فشربوا حتى رووا . قال : وفضل فضل ، فلما فرغوا أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يتكلم ، فبدروه الكلام ، فقالوا : ما رأينا كالיום في السحر . فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : " اصنع [لي] رجل شاة بصاع من طعام " . فصنعت ، قال : فدعاهم ، فلما أكلوا وشربوا ، قال : فبدروه فقالوا مثل مقاتلتهم الأولى ، فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال

لي : " اصنع [لي] رجل شاة بصاع من طعام . فصنعت ، قال : فجمعتهم ، فلما أكلوا وشربوا بدرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الكلام فقال : " أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي ؟ " . قال : فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله ، قال : وسكت أنا لسن العباس . ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله . [فقال : " أنت "] قال : وإني يومئذ لأسوأهم هيئة ، وإني لأعمش العينين ، ضخم البطن ، حمش الساقين . فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن علي ، رضي الله عنه . ومعنى سؤاله ، عليه الصلاة والسلام لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه دينه ، ويخلفوه في أهله ، يعني إن قتل في سبيل الله ، كأنه خشي إذا قام بأعباء الإنذار أن يقتل ، ولما أنزل الله عز وجل : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) [المائدة : 67] ، فعند ذلك أمن . وكان أولا يحرس حتى نزلت هذه الآية : (والله يعصمك من الناس) . ولم يكن في بني هاشم إذ ذاك أشد إيمانا وإيقانا وتصديقا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - من علي ، رضي الله عنه ؛ ولهذا بدرهم إلى التزام ما طلب منهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم

كان بعد هذا - والله أعلم - دعاؤه الناس جهره على الصفا ، وإنذاره لبطون قريش عموما وخصوصا ، حتى سمي من سمي من أعمامه وعماته وبناته ، لينبه بالأدنى على الأعلى ، أي :

إنما أنا نذير ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الواحد الدمشقي - غير منسوب - من طريق عمرو بن سمرة ، عن محمد بن سوقة ، عن عبد الواحد الدمشقي قال : رأيت أبا الدرداء ، رضي الله عنه ، يحدث الناس ويفتيهم ، وولده إلى جنبه ، وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدثون ، فقل له : ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم ، وأهل بيتك جلوس لاهين ؟ فقال : لأنني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " أزهد الناس في الدنيا الأنبياء ، وأشدهم عليهم الأقربون " . وذلك فيما أنزل الله ، عز وجل : (وأنذر عشيرتك الأقربين) ، ثم قال : " إن أزهد الناس في العالم أهله حتى يفارقهم " . ولهذا قال [الله تعالى] : (وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون) .